هل أنت وحدك على هذا الطريق؟

وطريق الدعوة شاق وطويل، وأجره كذلك كبير وعظيم، ليتفق مع طول الطريق ومشقته، ولأن الدعوة إلى الله أسمى المهام، وأجل الأعمال، لذا فهي مهمة الأنبياء. ورسالة الرسل، وطريق الصالحين المتشبهين بهم.

ولطول الطريق ومشقته، وكثرة العقبات والمعوقات والمثبطات، يشعر الداعية بالوحشة، لا سيما والإحباطات تتناوشه من كل جانب، واليأس يغزوه من الداخل، فأنى له القوة على مواصلة السير؟

ولكنه إذا علم أنه ليس وحده على الطريق، بل إن هذا الطريق سار عليها الكثيرون، ومن هم؟ إنهم خيرة خلق الله وأطهرهم، إنهم الأنبياء والرسل، وأن هذا الطريق لم يخلو ساعة من سالك، هان عليه الأمر، وخفف عنه العلم

ما يجد من ضيق وحرج وتعب.

ويخطىء كثير من الناس، عندما يتصور أن الدعوة إلى الله مهمة الرجال فقط، وأن النساء عليهن جر الذيول، هذا خطأ كبير، والدارس للتاريخ يجد أن الدعاة من النساء كُثُرٌ، علمنا بعضهن، وجهلنا أكثرهن، ولكن الذي خلقهن يعرفهن واحدة واحدة ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ [المدثر/٣١] وسأذكر لك بعضاً ممن أعرف، لعل ذلك يعينك على الاستئناس، وتبديد الوحشة، وتجديد الهمة، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

أنت تعرفين موقف سمية رضي الله عنها، أم عمار بن ياسر، وموقفها في الإسلام، واستشهادها في سبيل الدعوة الإسلامية، وتعرفين موقف كعيبة الأسلمية، وموقف نسيبة بنت كعب الأنصارية أم عمارة وقتالها يوم أحد دون النبي (ﷺ) وغيرهن الكثيرات الكثيرات.

ما الذي دفع هؤلاء النسوة لهذه المواقف التي تُعجز الرجال؟ رغم أنهن لو جلسن في بيوتهن، يتجهزن لرجالهن بالزينة وتطرية الجلد وتنعيمه وتكحيل العينين وتطيب الثياب لما لامهن أحد!! ولكنهن آثرن التي هي أرقى وأسمى، وطلبن التي هي أعظم وأولى، آثرن الجنة، وطالبن الشهادة في سبيل الله.

وسأسوق لك خبرين عن امرأتين من المسلمات الأوائل، وكيف كانت الواحدة منهن تتحمل العنت والتعب في سبيل الإسلام، والدعوة إلى الله، حتى أنها لتأتي بأعمال تثير عجبنا وإعجابنا في الوقت نفسه، أعمال فذة متفردة في السير إلى الله، والحرص على مرضاته، والعمل على نشر دينه، ونصرة دعوته.

فهذه أم شريك الدَّوْسية، تعمل في حقل الدعوة المباشرة إلى الله وتتحمل في ذلك العنت، ولا يردها عن دينها أو هدفها أو عملها ما تلاقي من صعاب. عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: «وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة، وكانت تحت أبي العسكر الدوسي (أي زوجته). ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، لكنا سنردك إليهم»[1].

وتُحمل رضي الله عنها، ويُسار بها، وتُمنع من الماء، وكلما تعبوا نزلوا فاستظلوا دونها وتركوها في الشمس، فلم يثنها ذلك عن دينها.

---

(١) صفة الصفوة ج٢ ص ٥٣.

ولما وصلت إلى رسول الله (ﷺ) في المدينة، وهبت نفسها له. قال الأكثرون ممن رووا قصتها: فلم يقبلها النبي (ﷺ) كزوجة، فلم تتزوج حتى ماتت.

فهذه امرأة ملكت عليها الدعوة قلبها وعقلها، ولم يكن لها مطمع في الدنيا أو زخرفها، فجاهدت ودعت وبَلَّغَتْ الدعوة، وتحملت ما أصابها في سبيل ذلك، وعرضت نفسها على النبي (ﷺ) راغبة في قربه، ولم يكن للنبي (ﷺ) فيها حاجة. ورغم ذلك لم تأخذها الحمية، ولم ترجع عن دينها، ولم تتراجع عن دعوتها، لأنها كانت مخلصة لله، فظلت بلا زواج، مستمرة في دعوتها حتى ماتت عليها رحمة الله.

وهذه داعية أخرى، كانت فتاة لم تتزوج بعد، دخل الإسلام قلبها، فأسلمت وبايعت، وضاق بها الحال بين أبوين كافرين، ففرت بدينها إلى الله ورسوله، وخرجت مهاجرة سراً، ولكنها أحكمت خطتها للهجرة بذكاء وتصميم نادرين يثيران العجب والإعجاب معاً.

أما هذه الفتاة العاتق فهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها، أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، وهاجرت في هدنة الحديبية.

عن ربيعة بن عثمان وقُدامة قالا: لا نعلم قرشية خرجت

من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم. قالت: كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلي فأقيم بها الثلاث والأربع، وهي ناحية التنعيم، ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي البادية. حتى أجمعت المسير (أي الهجرة) فخرجت يوماً من مكة كأني أريد البادية. فلما رجع من تبعني (أي من كان يراقبها أو يحرسها أو يوصلها لأول الطريق) إذا رجل من خزاعة قال: أين تريدين؟ قلت: ما مسألتك؟ ومن أنت؟ قال: رجل من خزاعة. فلما ذكر خزاعة اطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله (ﷺ) وعقده (أي بعد اتفاقية الحديبية). فقلت: إني امرأة من قريش، وإني أريد اللحوق برسول الله (ﷺ) ولا علم لي بالطريق. فقال: أنا صاحبك حتى أوردك المدينة. ثم جاءني ببعير فركبته فكان يقود بي البعير. ولا والله ما يكلمني بكلمة. حتى إذا أناخ البعير تنحى عني فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيده بالشجرة، وتنحى إلى فيء شجرة، حتى إذا كان الرّواح حَدَجَ (شد عليه الرحل أو الهودج) البعير فقرّبه وولّى (ذهب بعيداً) عني، فإذا ركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل، فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيراً[1]. فدخلت على أم سلمة وأنا متنقّبة (أي مخفية

(١) بالطبع هذا الوضع وضع ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، لا سيما في =

وجهي بالنقاب حتى لا يعرفني أحد) فما عرفتني حتى انتسبت (أي ذكرت لها اسمي واسم عائلتي) وكشفت النقاب، فالتزمتني (أي عانقتني واحتضنتني) وقالت هاجرتِ إلى الله عز وجل وإلى رسوله (ﷺ)؟ قلت: نعم، وأنا أخاف أن يردني كما رد أبا جندل وأبا بصير، وحال الرجال ليس كحال النساء، والقوم مُصبِّحيَّ، قد طالت غيبتي اليوم عنهم خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب، ثم يطلبوني، فإن لم يجدوني رحلوا (أي جاؤوا للبحث عني).

فدخل رسول الله (ﷺ) على أم سلمة فأخبرته خبر أم كلثوم فرحّب بها وسهّل. فقلت: إني فررت إليك بديني فامنعني (أي احمني) ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني، ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتك رددت رجلين (حسب شروط اتفاق الحديبية) حتى امتنع أحدهما. فقال [أي رسول الله (ﷺ)]:

= تلك الظروف والملابسات، وتلك الأيام التي كان فيها الرجال رجالاً ذوي نخوة ومروءة. أما في زمننا هذا وفي الظروف العادية فلا يجوز أن تسافر امرأة بدون محرم لحديث النبي (ﷺ): «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة (أي ذي محرم) [متفق عليه].

إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء، وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم (إشارة إلى قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار...**﴾ إلخ الآية العاشرة من سورة الممتحنة.

فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد فقالا: أوفِ لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقال: قد نقض الله العهد. فانصرفا.[1]

هذان نموذجان من جيل الصحابة، وتاريخ الإسلام بعد ذلك مليء بالمسلمات اللواتي أخذن على عاتقهن مسؤولية الدعوة إلى الله، حتى في عصرنا الحاضر الذي نعيش، نجد فيه مُثُلاً وقدوة من هذه الفئة المؤمنة من النساء الداعيات الصابرات المحتسبات.

وأنتِ ـ بحول الله وقوته ـ لستِ أقل من هؤلاء، ولا يعجزك أن تأتي من الأفعال العظيمة في سبيل الله. مثلما فعلن وأكثر، طالما أن النية موجودة والإخلاص لله موجود، وحب الدعوة والعمل من أجلها متوفر لديك. والله يرعاك ويوفقك ويثيبك.

---

(١) صفة الصفوة جـ٢ ص ٥٥ ـ ٥٧.

وأما إذا شعرت بفتور أو وهن أو خوف أو وحشة الطريق، ولم تجدي فيمن حولك من يساندك، ويشد من عضدك، ويقوي عزيمتك، ويؤنس وحشتك، فابحثي في كتب التراجم والتاريخ، وحتى في عصرنا الحديث عن النسوة اللواتي وهبن أنفسهن لله، وجندن أنفسهن للدعوة وخدمة هذا الدين، فستزول الوحشة، وتشعرين بالأنس، وتقوى عزيمتك، وتنشط همتك. والله معك.

obeikandl.com